

جمالية الخطاب الأدبي على ضوء الدراسات النقدية الحديثة

أ. زهيرة بنيني

المخلص:

نتناول في هذا المقال بالدراسة المفهوم اللغوي والاصطلاحي للخطاب كوسيلة اتصالية تحتاج للمرسل والمرسل إليه ، كما نحاول البحث عن القواعد التي يعتمدها الخطاب الأدبي والذي يعتبر كإنتاج لغوي وفكري ثم نأخذ الخطاب الروائي كنموذج فنبحث في بنائه الداخلي الذي يحوي عناصر متعددة كالشخصيات والزمان والمكان والسرد لنصل في النهاية إلى تلك المضارقات بين الخطاب العادي والخطاب الأدبي وهنا تكمن نتيجة هذه الدراسة .

Résumé :

Nous essayons dans cet article d'examiner la notion linguistique et terminologique du discours comme moyen de communication nécessitant la présence simultanée d'un émetteur et d'un récepteur. Nous tenterons également de retrouver les constituants fondamentaux du discours littéraire qui est considéré comme un produit langagier et intellectuel. Puis, il sera question de prendre le discours narratif comme modèle pour retrouver sa composition qui contient plusieurs éléments comme les personnages, le temps, l'espace et le récit, pour arriver finalement à une comparaison entre la spécificité du discours ordinaire et celle du discours littéraire.

إن عصرنا جديد في كل شيء ... نعيشه آلاما وآمالا، يتطلب منا الكثير لتجاريه أحيانا أو ننجو من براثن تجاريه أحيانا أخرى، إننا في مواجهة مع لعبت المصطلحات الجديدة المتداولة من طرف منظرو عصرنا و تلك المفاهيم المقحمة من خارج ثقافتنا التي تحتاج للطرح و المراجعة الفكرية و الذاتية و إعادة النظر في القواعد و الأسس التي تقوم عليها سلوك الدول المتقدمة ، ضرورة تقبل التعددية الثقافية و الأخلاق الواقعية بدلا من التمسك بالأفكار النظرية المطلقة التي لا تلبث أن تنهار و يظهر زيفها أمام الأزمات السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية التي يتعرض إليها العالم. فيستلزم علينا رصد الواقع الحالي و استشراف مستقبل النظرة إلى القيم التقليدية و الثوابت المتوارثة الراسخة في بنيتنا و الإيمان بفاعليتها و جدواها في توجيه الحياة وفق العهد الجديد الذي له اتجاهاته وأفكاره و

تصوراته ومفاهيمه ورؤاه الخاصة التي يجب الالتزام بها ، ونبذ كل ما عداها فتتحدد لنا إشكالية هذا الطرح في المواجهة بين الأنا والآخر و عادة ما يكون الأنا هو المدافع عن الهوية الثقافية في مواجهة الآخر الذي يتحد مع عصر ما بعد الحداثة الرافض لكل القيم التي اصطلح عليها العرف لبروز أولويات جديدة تستجيب للتحديات المترتبة على التحولات التكنولوجية و تعدد الثقافات مما يقر بالضرورة المعرفية لها و مدى القدرة على التأقلم مع الأنماط الثقافية الجديدة . لهذا كان الخطاب فضاء معرفيا متعدد الأبعاد مما يجعل كل باحث أو مفكر يعرفه من وجهة نظره الخاصة التي ترتبط بالخصوصية المعرفية، الناتجة عن التصورات المختلفة للمنطلقات التاريخية والاجتماعية والنقدية والثقافية وغيرها وتؤكد الدراسات على أن مفهومه غير متفق عليه لتعدد الموضوعات التي يطرحها، و ما مسعانا إلا محاولة البحث عن جذور هذا المصطلح سواء في المعاجم العربية أم عن معناه عند الدارسين الغرب و العرب للوصول إلى الخطاب الأدبي.

1 - دلالة الخطاب بين اللغة و الاصطلاح :

إن الخطاب لغة من: خطب فلان إلى فلان، فخطبه أو أخطبه أي أحابه، و الخطاب و المخاطب، :مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة، وخطابا، وهما يتخاطبان، و الخطب: سبب الأمر ، الليث و الخطبة مصدر الخطيب، و خطب الخطاب على المنبر و اختطب، يخطب، خطابة، و اسم الكلام: الخطبة.

قال أبو منصور؛ و الذي قال الليث: إن الخطبة مصدر الخطيب و لا يجوز إلا على وجه واحد.

قال الأزهري: نقول هذا خطباً جليل و خطب يسير و جمعه: خطوب¹

فالخطاب هو مراجعة الكلام، و هو الكلام والرسالة، وهو المواجهة بالكلام أو ما يخاطب به الرجل صاحبه و نقيضه الجواب وهو مقطع كلامي يحمل معلومات يريد المرسل (المتكلم أو الكاتب) أن ينقلها إلى المرسل إليه (السامع أو القارئ و يكتب الأول رسالة و يفهمها و الآخر بناء على نظام لغوي مشترك بينها)²

إن هذه المفاهيم اللغوية تتدخل في بنائها عناصر متعددة كالمرسل و المتلقي، و الرسالة التي تحيلنا إلى الحوارية و التي تجمع بينهما، ويقابل مصطلح الخطاب مصطلحي Discourse باللغة الانجليزية و Discours باللغة الفرنسية . فنجد المعاجم الغربية المتخصصة تقدم مجموعة من المقابلات و التحديدات المتنوعة منها كلام ، أو محاضرة تلقى على مستمعين، كما تزوج بين النص و الكلام من جهة و الخطاب و اللغة من

جهة أخرى ، كما تقابل بينهما أحيانا³ . وهكذا تتقارب الدلالات لمصطلح الخطاب في المعاجم الغربية والعربية على أنها القول أو الكلام. لقد استقطب مصطلح الخطاب اهتمام الدارسين الغرب و خاصة من خلال الأبحاث والدراسات التي اهتمت بالموضوعات اللسانية نظرا لتعدد مدارس واتجاهات الدراسات اللسانية الحديثية، تعددت مفاهيم مصطلح الخطاب⁴

و الخطاب حسب *Emile Benveste* (1902-1976) هو: «الملفوظ منظورا إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل و بمعنى آخر هو كل تلفظ يفرض متكلما و مستمعا و عند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما»⁵ أما *هاريس*، فقد سعى إلى تحليل الخطاب بنفوس التصورات و الأدوات التي تحلل بها الجملة، فعرف الخطاب بأنه: «ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل متعلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية و بشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض»⁶

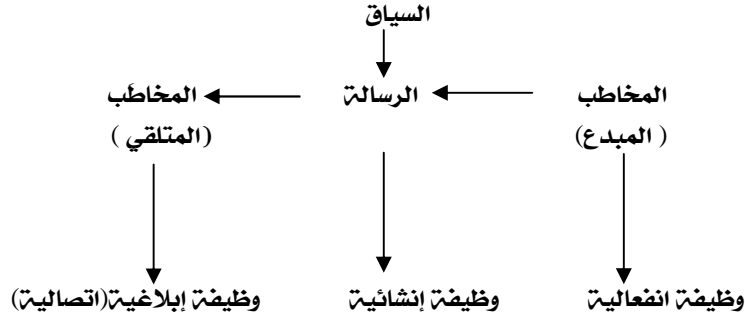
و انطلاقا من هنا فإن التعامل مع الخطاب (Discours) على أنه فعل النطق أو فعالية تقول و تصوغ في نظام ما يريد المتحدث قوله من حيث هو كتلة نطقية، إنه الخطاب الذي يمارسه المخاطب، فحدده *موشلر* على أنه الحوار ثم قام بإجراء تحليلاته للخطاب (الحوار). وكانت توحى بتأثره بأراء مدرسة *بيرفكار* التي حصرت الخطاب في الحوار و التي أثرت في تعريفات العديد من اللسانيين الذين يكتبون بالانجليزية مثال *مايكل* هو في كتابه (حول ظاهرة الخطاب) الذي أكد بأنه يتعامل مع الخطاب باعتباره المونولوج شفويا أم كتابيا⁷. و لهذا فالخطاب يفترض وجود فاعل منتج و علاقة حوارية مع المخاطب المنجز من خلال نظام التواصل القائم على المخاطب المنجز للكلام و المخاطب متقبل الرسالة، والرسالة ذاتها تحتاج إلى سياق و صلة و سنن لأن: «اللغة يجب أن تدرس في كل تنوع و وظائفها، و قبل التطرق إلى الوظيفة الشعرية ينبغي علينا أن نحدد موقعها ضمن الوظائف الأخرى للغة، و لكي نقدم فكرة عن هذه الوظائف من الضروري تقديم صورة مختصرة عن العوامل المكونة لكل سيرورة لسانية، و لكي تكون الرسالة فاعلة فإنها تقتضي سياقاً تحيل عليه، و بعد ذلك سننا مشتركا كليا و جزئيا بين المرسل إليه يسمح بإقامة التواصل و الحفاظ عليه»⁸. فهذا النموذج التواصلي عند *رومان جاكبسون* (1896-1983) يقوم على طرفين:

الرسالة

المخاطب ← المخاطب

الخطاب

فالخطاب من خلال هذا المخطط هو رسالتة يبيثها المبدع، أو المخاطب المتلقي و نجد أول من وضع مخططا لعملية التواصل Communication **رومان جاكبسون**، حيث يرى أن: «كل رسالتة لغوية لا تتحقق إلا من خلال تحليل الوظائف الست التي تتحكم في عملية التخاطب»⁹ :



فالخطاب حسبه عبارة عن رسالتة message يبيثها المبدع (المخاطب) إلى المتلقي (المخاطب) عن طريق قناة الاتصال contacte وتخضع هذه الرسالتة إلى شيفرة code مشتركة بين المبدع والمتلقي لأن المبدع هو الذي يركب الرسالتة والمتلقي هو الذي يفسرها أي يمارس عليها القراءة.

لقد تعددت المفاهيم الخاصة بالخطاب عند النقاد الغربيين باختلاف تخصصاتهم وتعدد مجالاتهم ، أما في ساحتنا العربية النقدية ونتيجة لمسيرة الثورة المعرفية ، وقد كثير من المصطلحات الغربية التي كانت دخيلة على معطيات التراث العربي والتي تساهم إلى حد كبير في ربط الحضارات مع بعضها البعض ، ومنه الرقي بالعقل العربي واتساع دائرته الثقافية ، لأن إشكالية نقل المفاهيم إلى الثقافة العربية المعاصرة وما ارتبط به في حالات كثيرة من سوء فهم وانحسار بلغ حد الاختناق الدلالي شغلت حيزا بارزا في القضايا الفكرية وما يحدث لكثير من المصطلحات من اضطراب وغموض عندما يتبناها الفكر العربي المعاصر تبنيًا سطحيًا يبلغ حد الترجمة الركيكة ولا يفوض على فهم بيئتها الحضارية ، ومتى عدنا إلى قضية نقل المصطلح نجد المسألة أشد عسرا ذلك أن المفهوم والمصطلح يولد عادة في ظروف تاريخية وفكرية معينة عرفتها بيئة حضارية في زمان محدد ، ولهذا فصيغة أي مفهوم يخضع لثوابت محددة: «فأما الثوابت المعرفية فتتصل بطبيعة العلاقة المعقودة بين كل علم من العلوم ومنظومته الاصطلاحية وأما النواميس اللغوية فتقتضي تحديد نوعية اللغة التي تتحدث عن قضية المصطلح ضمن دائرتها وما تختص به من فرق تنعكس على آليات الألفاظ ضمنها»¹⁰

و مصطلح الخطاب تداولته أقلام الباحثين التي أدت إلى وجود مفارقات واضحة في الفهم و التعريف من دارس إلى آخر أثناء عملية انتقاله .
فقد ورد الخطاب في القرآن الكريم في ثلاث آيات بمعان مختلفة¹¹ ومنها قوله تعالى في سورة ص ، «وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَ وَ فَصَلَ الْخُطَابَ»¹² وقوله أيضا «إِن هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعْمَةً وَ لِي نَعْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَ عِزِّي فِي الْخُطَابِ»¹³ وفي سورة النبأ يقول تعالى: «رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خُطَابًا»¹⁴

تنطلق هذه الآيات في أساسها من المفهوم السابق المطروح لمصطلح الخطاب و الذي يتفق معه في الممارسة اللغوية على أنها القول أو الكلام لأن الكلام: «يعني الخطاب وهو ما تركيب من مجموعة متناسقة من المفردات لها معنى مفيد، و الجملة هي الصورة اللفظية الصغرى أو الوحدة الكتابية الدنيا للقول أو للكلام الموضوع للفهم و الإفهام، وهي تبين صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاءها في ذهن المتكلم الذي سعى في نقلها حسب قواعد معينة، و أساليب شائعة إلى ذهن السامع و لا يكون الكلام تاما (...) و الجملة مفيدة إلا إذا روعيت فيها شروط خاصة منها ما تعود إلى المنطق و منها ما تعود إلى اللغة و قيودها»¹⁵

إن دراسة هذا المصطلح سبر لأغواره و الكشف عن أسراره بالعودة إلى أصوله الضاربة في القدم من خلال ما حدده الزمخشري و الزركشي في أن الخطاب هو اللغة الفنية، لغة التعبير الأدبي و الموجهة بالكلام فكان مفهومه: «على أنه الكلام أو المقال و عده كيانا أفرزته علاقات معينة بموجبها التأمّت أجزاءه و قد تولد عن ذلك تيار يعرف الملفوظ الأدبي بكونه جهازا خاصا من القيم طالما أنه محيط أنساني مستقل بذاته و هو ما أفضى إلى القول بأن الأثر الأدبي بنية أنسية تتجاوز مع السياق المضموني تجاوزا خاصا»¹⁶. فالخطاب إذن يستمد وجوده من نظامه الداخلي الممثل في اللغة فرأه جابر عصفور على أنه: «الطريقة التي تشكل بها الجمل نظاما متتابعا تسهم به في نسق كلي متغير و متحد الخواص أو على نحو يمكن معه أن تتألف الجمل في خطاب بعينه لتشكل خطابا أوسع ينطوي على أكثر من نص مفرد و قد يوصف الخطاب بأنه مجموعة دالت من أشكال الأداء اللفظي تنتجها مجموعة من العلاقات أو يوصف بأنه مساق العلاقات المتعينة التي تستخدم لتحقيق أغراض معينة»¹⁷

من خلال هذا التقديم الاصطلاحي للخطاب فإن هذه الآراء تجتمع في أن الخطاب كل مجموع له معنى لغوي أو خلافه أي يتشكل من وسائل الاتصال بهدف تبليغ رسالت و الذي يفترض وجود طرفين تجري بينهما العملية الإبلغية هما المخاطب (المبدع) و المخاطب (المتلقي)، ومن هذا التصور لبنية الخطاب جاءت

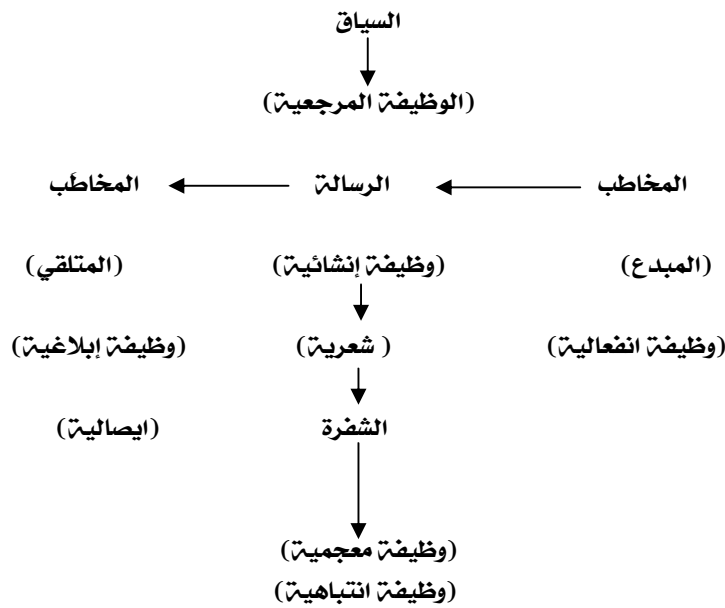
أفكار نقدية تنادي بضرورة البحث عن مفهوم واضح للخطاب الأدبي و التلقيب عن أسراره و تمييزه عن الخطاب العادي.

2- ماهية الخطاب الأدبي؛

إن الخطاب الأدبي تسمية للتمييز بين الخطابات، لأن وجود خطاب أدبي يفترض وجود خطابا غير أدبي، ولكل من الخطابين خصائص تميزه، و التعرف على جملة الشروط و المقاييس التي تجعل من خطاب معين خطابا أدبيا، فالخطاب الأدبي: «صياغة مقصورة لذاتها، وصورة ذلك أن لغة الأدب تتميز عن لغة الخطاب العادي بمعطى جوهري، فبينما ينشأ الكلام العادي عن مجموعة انعكاسات مكتسبة بالمران و الملكة ترى الخطاب الأدبي صوغ للغة عن وعي و إدراك، إذ ليست اللغة فيه مجرد قناة عبور للدلالات، إنما هي غاية تستوقفنا لذاتها، و بينما يكون الخطاب العادي شفافا نرى من خلاله معناه ولا نكاد نراه في ذاته، نجد الخطاب الأدبي على عكسه ثخنا غير شفاف يستوقفنا هو نفسه قبل أن يمكننا اختراقه، فالخطاب العادي منفذ بلوري لا يقوم حاجزا أشعة البصر، بينما الخطاب الأدبي حاجز بلوري ظلي صورا و نقوشا وألوانا تصد أشعة البصر عن اختراقه»¹⁸ فيبدو الخطاب نسيجا كلاميا و حواريا و اللغة هي الأداة و الجوهر لتبليغ رسالته، وهذه المقارنة الواضحة بين الخطاب العادي و الخطاب الأدبي هي معرفة لتلك الأساسيات التي تساهم في بناء الخطاب الأدبي بطرق أكثر تقنية و حداثة مما يسهم في الإمساك بتلك الإشعاعات المضيئة له و تحقق ما يسمى بالأدبية والتي تعني: «خصوصية الخطاب الأدبي، والتي يمكن أن تعبر إما كهدف يسعى إلى تحقيقه البحث من خلال الخطاب الوصف، و إما كمسلمة تعين على تحديد الموضوع المعرفي سلفا»¹⁹.

فالخطاب معايير أسسته و ساهمت في بنائه من خلال قيم ووسائل فنية يدركها الكاتب و المتلقي في الوقت نفسه مع التغيير الزماني و المكاني و مستويات التلقي باختلاف العوامل الخارجية و الداخلية، فيكون الخطاب باعتبار مقروء القارئ: «ذلك البناء نفسه و قد أصبح موضوعا لعملية إعادة البناء. أي نصا للقراءة و كيفما كانت درجة وعي القارئ بما يفعل فإنه ولا بد أن يمارس في ذلك النص ما يمارسه صاحب الخطاب عند بناء خطابه إبراز أشياء و السكوت عن أشياء، تقديم أشياء و تأخير أشياء فيسهل القارئ هكذا في إنتاج وجهة النظر بل إحدى جهات النظر التي يحملها الخطاب صراحة أو ضمنا، و القارئ عندما يسهم في إنتاج وجهة نظر معينة من الخطاب، يستعمل هو الآخر أدوات من عنده هي في جملتها وجهة نظر أو جزء منها عناصر صالحة لتكوينها و من هنا يأتي اختلاف القراءات و تعدد مستوياتها»²⁰. و الخطاب من هذه الزاوية يعبر عن فكرة ما باحترام تلك القواعد من أجل الوصول إلى الإخبار و الإقناع و من ثم الاعتماد على الوظيفة التأثيرية و

الجمالية انطلاقاً من الخصائص اللغوية المشكّلة للخطاب و الدلالات المتشابهة و المستويات المتعددة المكوّنة له. و لهذا تحددت وظائف أخرى للخطاب الأدبي حسب تحديد جاكسون ، كالوظيفة الانفعالية أو التعبيرية و التي تكشف عن خبايا نفس المبدع و التعبير عن عواطفه و خلجات نفسه و رغبته في التأثير في المتلقي ، أما الوظيفة الإبداعية أو الإيصالية فتهدف إلى إقناع المتلقي مضمون الرسالة التي بثها المبدع وذلك عن طريق مضمون الرسالة كيف يتأثر بها ، أما الوظيفة الإنشائية (الشعرية) فتتمثل جوهر الرسالة التي يحملها الخطاب الأدبي لأنه الهدف المتوخى ، أما الوظيفة المرجعية فتحيل الرسالة إلى شخص لتفكيك عناصرها و توضيح الوظيفة المعجمية الشفرة المشتركة بين المبدع و المتلقي و تسعى لضمان وجودها. بحيث يبقى مفهومه بين طرفي الخطاب. أما الوظيفة الانتباهية فتحافظ على الصلة كما تظل قائمة بين طرفي الخطاب أثناء عملية التخاطب²¹



إن الخطاب الأدبي هو الممارسة الأدبية شفهية أو كتابية للغة ممارسة تتقيد بقواعد و شروط فنية مختلفة باختلاف الأنواع و الفنون الأدبية ، و تتقيد أيضا بقيم جمالية يتعارض عليها كل أمة تبعا لحضارتها و ثقافتها و يكون تحليل الخطاب تبعا لذلك؛ هو استخلاص هذه الشروط الفنية أي مكونات الأدبية في خطاب ما عبر مستويات متعددة تدرج كلها ضمن وجهي الأثر الأدبي هما الشكل و المضمون²²

و انطلاقاً من طبيعته الخطاب الأدبي، يرى سعيد يقطين أن الخطاب الروائي هو: «الطريقة التي تقدم بها المادة الحكائية في الرواية، وقد تكون المادة الحكائية واحدة لكن ما يتغير هو الخطاب في محاولته كتابتها ونظمها فلو أعطينا لمجموعة من الكتاب الروائيين مادة قابلة لأن تحكي وحدنا لها سلفاً شخصياتها وأحداثها المركزية وزمانها وفضائها لوجدناهم يقدمون لنا خطابات تختلف باختلاف اتجاهاتهم ومواقفهم وإن كانت القصة التي يعالجون واحدة»²³، فالمادة الحكائية حسب يقطين أو نظريات السرد تتمثل في الحدث (المفعول)، الشخصية (الفاعل)، الزمن والمكان (الفضاء)، والتي تعد المادة الأصلية التي يتحقق بها العمل الحكائي الروائي والقاعدة الأساسية لها من خلال ترابط تلك الدوافع الداخلية والإيديولوجية وترابط تلك المكونات كتأسيسات أولى.

لقد عرف الخطاب منذ بدايته ظهوره وحتى الآن العديد من التحولات التي صاغت إنجازات فردية والتي كانت نتيجة لطبيعة التغيرات الثقافية المختلفة، وكذلك طبيعة التعاطي من منجز إلى آخر وهذا راجع لمقتضيات واستجابات لدوافع جديدة تستدعيه وتتطلبه ليكون مضموماً يحل محل استعمالات متعددة ويستوعب غيره من المفاهيم ليكسبها دلالات جديدة تنهياً لها في ضوء السياق الذي تولد فيه المفهوم الجديد. فكان الخطاب الروائي واحداً من القضايا والظواهر التي بدأت تستأثر اهتمام الباحثين. فجعلوه بناء يعتمد على مجموعة من اللبانات كالشخصيات، الزمان والمكان والسرد وهذا لوعيهم بالظاهرة وامتلاكهم القدرة على فهمها وتفسيرها من خلال وضعها في نسق ينظم علاقتها بغيرها ويحدد موقعها منها فكان النص: «بنية متلاحمة العناصر، بنية كبيرة تحتوي على بنى متفاوتة من حيث الطول، فهناك وحدات صغرى كالبنية الصوتية والصرفية وهناك وحدات أكبر كالبنية التركيبية ووحدات كبرى مثل البنية السردية أو الوصفية أو الحوارية، والمنهج البنيوي ليس منهجاً متعالياً على النص كالمنهج الاجتماعي أو النفسي وإنما هو منهج محايد للنص، يتشكل مع عملية الاكتشاف والتحليل وليس منهجاً جاهزاً يطبق على جميع النصوص بالتساوي»²⁴ فالنص عملية صيرورة يتقاطع مع عدد لا يحصى من النصوص السابقة عليه والتي يستوعبها إرادياً أو لا إرادياً.

فالخطاب الروائي العربي بنياته ودلالاته على اعتبار أنه يتحدد أساساً في لغة الراوي وحواراته ويتعدد في مستويات الحكيم، التي تعكس صورة الأنا والآخر من خلال المعطى الاجتماعي وما يوجد فيه من وقائع وأحداث تصنع شكل الحياة ومضمونها المعاش في الإطار الواقعي العام.

فالراوي عن طريق لغة الآخرين يقول ما يخصه شخصياً ويبني خطاب عمله الفني داخل الحوار المسكوت بذوات الآخرين تماماً مثلما تنبت الإجابات

الحيوية لهذا الخطاب وتتكون داخل فعل حوار في الموضوع ولا يمكن فهم الخطاب الروائي ما لم يتم فهم تطلعاته الخارجية و مراميها وسيل تثبيت المعاش فيها. وتبدو عملية رصد الخطاب الروائي العربي عملية جد معقدة و متشعبة الاختصاصات وتتطلب جهود كثيرة لأن الخطاب يجد ذاته ينطوي على معنى نفسي و اجتماعي وسياسي في آن وأيا يكن الأمر فإنه يمكن ملاحظته عدة نماذج و اتجاهات وسمت الخطاب الروائي بكليته و طبيعته بصيغته المعددة و المتشعبة.

فمنذ البدايات الأولى للرواية العربية كان الحوار هو الذي يستنهض الخطاب المباشر الموجه إلى موضوعه حوار مسطح مستلب، غير قادر على تلمس رؤاه في بنيات السرد التخيلي مكررا مقولات و حكما وأمثالا سياسية واجتماعية و نفسية استعارها من الواقع بكل جاهزيتها، لذلك جاء خطاب البدايات مباشرة تحكمه أطر وقوالب جاهزة وهي تلك القوالب التي كانت سائدة آنذاك في المجتمع و هذا الأمر لم يقف عند حد على رغم تطور الرواية العربية، بل انسحب داخل الخطاب ليعكس نفسه في روايات الجيل الأول و لفترة غير بعيدة.

لقد ساهم روائيون عرب كثر في تقديم نماذج روائية جسدت الواقع وحضرت في مساريه ونقلت عبر الحوار فيها ما يحسه أبناء المجتمع من مشاكل و صراعات لأن الرواية هي أكثر الأجناس الأدبية قدرة لا على تقديم الملامح الأساسية للحياة المعاصرة و إنما أيضا عبر محاورة هذه الملامح وتشريحها و نقدها في كثير من الأحيان ، أي عبر لغت الخطاب الروائي المتعددة و المتنوع في آن و يمكن القول أن السمة المميزة التي قدمتها تجربة الخطاب الروائي العربي كانت تتمثل في صياغة معادل للوعي في الواقع، حيث يلعب المثقف دورا في علاقات اجتماعية محكومة من خارجها.

واستطاعت الرواية العربية الجديدة في نهاية الستينات وما بعدها أن تكسر الأطر و القوالب المحددة للشكل الروائي رؤيا كلية للعالم بأشكال و أساليب جديدة و نبض جديد يتحسس الواقع ومشاكله للدخول فيه و الخروج منه و تحليله و تركيبه.

وفي الكتابة الجديدة يكتشف النثر أبعاده كرويا متعددة و كقبول بالتفاصيل ورفض لسحق التجربة أمام الشكل الجاهز، هذا الشكل الجدير للرواية العربية أدخل الفن الروائي العربي عموما قي التجريب و كأنه لم يخضع بعد لمرجعية نموذجية يمكن الاستثناء إليها.

ومع ظهور هذه التجريبية برزت تعددات في مستويات بناء الخطاب الروائي و تخلخل الزمان و المكان وأصبح الفضاء الروائي يتسع لكل معطيات النثر و مقدراته و اختلافات أشكاله ونماذجه فوجدت الشعرية مستقرا لها و بوحا في فضاء الرواية و التداوي و حوار الذات و احتدام الأصوات و المناجاة من خارج الطقس و ثمت عدد من

الروائيين العرب أسهموا بشكل فعال في إيصال الخطاب الروائي إلى فضاءه الإبداعي ضمن نفس خاص.

الهوامش:

- 1- ابن منظور، لسان العرب، الجزء الأول، مادة خطب، دار صادر بيروت، ط1، 1955، ص361
- انظر/إبراهيم مصطفى المعجم الوسيط، المكتبة العلمية طهران، ج1، مادة خطب
- محمد العدناني، الأخطاء الشائعة، مكتبة لبنان بيروت، ط2، 1980، مادة خطب.
- 2- إميل يعقوب، المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987، مادة خطب.
- 3- محمد مفتاح، بعض خصائص الخطاب، علامات في النقد، المجلد9، الجزء35، مارس2000، ص9.
- 4- إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي، دراسة تطبيقية، دار الآفاق، الجزائر، ط1، 1999، ص9.
- 5- إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي، ص10
- 6- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1997، ص17
- 7- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص24، 25.
- 8- رومان جاكسون، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الولي، الدار البيضاء، 1988، ص24.
- 9- عبد الرزاق الورتاني، مفهوم الأسلوبية عند جاكسون، مجلة القلم، العدد10، تونس1977، ص11، ص12.
- 10- عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، 1994، ص10.
- 11- عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردى معالجة تفكيكية سيميائية مركبة رواية زقاق المدق، سلسلة المعرفة، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص261.
- 12- سورة ص، الآية20،
- 13- سورة ص، الآية23.
- 14- سورة النبأ، الآية37.
- 15- ريمون الطحان، الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1981، ص44.
- 16- عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ص110.

- 17- جابر عصفور، عصر البنيوية من ليفي ستراوس الى فوكو، دار الأفاق العربية بغداد، 1985، ص269
- 18- عبد السلام المسدي ، الأسلوبية والأسلوب ، ص 112
- 19- رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، فيفري، 2000، ص97، 98
- 20- محمد عبد الجباري، الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1982، ص17.
- 21- عبد الرزاق الورتاني، مفهوم الأسلوبية عند جاكسون، ص13، 14
- 22- إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي ، ص219.
- 23- سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي ، ص7 .
- 24- ك.م نيوتن، نظرية الأدب في القرن العشرين، ترجمة عيسى العاكوب ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية، 1988، ص143 .